عنصريّة دولة اسرائيل

غلاف كتاب
« عنصرية دولة اسرائيل »

صدر مؤخرا في باريس ، عن دار غاي اويتي ، كتاب جديد بعنوان « عنصرية دولة اسرائيل » ، ومؤلفه هو البروفيسور : اسرائيل شاهاك رئيس (رابطة حقوق الانسان والمواطن في اسرائيل) ، عمره ٤٢ عاما ، ويعمل استاذا للفيزياء في الجامعة العبرية في القدس ، ويناضل منذ عام ١٩٦٨ للتنديد بكل اعمال القمع والتنكيل التي تمارس ضد حقوق الانسان في الاراضي المحتلة .

ورغم ان شاهاك ليس ثوريا ، الا انه يعتقد ان الدفاع عن الحقوق الانسانية والمدنية يجب ان يكون اليوم في اسرائيل ، وبالدرجة الاولى ، دفاعا عن الفلسطينيين . والكتاب يعتبر وثيقة هامة ، نظرا للوقائع والارقام والاقوال التي يحتويها . انه تصوير حقيقي للحياة في اسرائيل والضفة الغربية وغزة .. حيث نرى ضحايا النازية القامى يمارسون في حق الفلسطينيين طرقا من القمع لم تمارسها حتى النازية نفسها بحق اليهود ! وبهذا الخصوص ، لا يعتقد شاهاك ان احتلال الاراضي الجديدة في عام ١٩٦٧ هو الذي دمغ المجتمع الاسرائيلي بطابع نازي ، بل ان الصهيونية منذ انغراسها في ارض فلسطين خلقت لدى اليهود فيما خاصة تعتمد على نهب العرب الفلسطينيين وطردهم خارج فلسطين ، بالطرق السلمية ان امكن ، وبالعنف اذا دعت الضرورة .

الحقوق الديمقراطية والارهاب :

تحت هذا العنوان يقول شاهاك : « في نظري ، ان نظام الاحتلال الاسرائيلي في الاراضي المحتلة ـ اضافة لكونه بغيضا كل البعد عن ان يكون ليبراليا ـ هو احد الانظمة الاكثر قساوة ، والاكثر فعلية في التاريخ الحديث . لنذكر اولا مثالا صغيرا : ان عدد الفلسطينيين الذين يعيشون حاليا في هذه الاراضي بنيت قليلا عن المليون ، في حين كان هذا العدد ، قبل الاحتلال الاسرائيلي ، في حدود المليون ونصف المليون . ان اول هم لسلطات الاحتلال كان ، في الواقع ، وبمختلف الوسائل ، تنظيم الطرد الجماعي للفلسطينيين من وطنهم » .

وقد استمر هذا الطرد « الجماهيري » ـ بعكس الطرد الفردي الذي سأتكلم عنه فيما بعد ـ حتى آب ١٩٦٨ ، حين اغلقت حكومة الملك حسين الجسور . وعمليا ، لا توجد الان عائلة فلسطينية لم تتعرض لهذه السياسة : ابعاد الآباء عن الابناء ، والاخوان عن الاخوات ، التي تنتج عنها آلام من الصعب وصفها . ولا تابه الحكومة الاسرائيلية وكل الاحزاب الصهيونية القريبة والبعيدة (مثل افنيري) لذلك مطلقا ، انها لا ترى فيها مسالة انسانية ، بل مسالة ديموغرافية .

اليوم ، في القدس « الموحدة » ، الوضع هو نفسه ، اذ يتكلم اليهود الاسرائيليون عن « تجميع العائلات » عندما يكون الموضوع موضوع « قدوم » اليهود الروس ، ولكنهم لا ينبسون بكلمة في خصوص مسالة السماح بـ « تجميع العائلات الفلسطينية » « القدس » بة ابا عن جد . ان بشرا ولدوا وامضوا الجزء الاكبر من حياتهم في القدس لا يسمح لهم بالعودة ليقيموا فيها ، اذا لم يكونوا يهودا . اما اذا ابدى احد الهولنديين مجرد رغبة ، فلا يسمح له فورا فحسب ، بل ويعطى شقة في « رامات اشكول » (...)

اكثر من ٧ سنوات ، مضت الان على الاحتلال. لنتذكر ماذا كان وضع المانيا النازية واليابان بعد ٧ سنوات من احتلالهما من قبل قوات الحلفاء . في عام ١٩٥٢ ، تكونت دولة المانية واخرى يابانية ، ولم تتكونا هكذا عفوا : لقد تكونتا من قبل الالمان واليابانيين انفسهم ... حيث تم الاعتراف لهم ، بعد الحرب ، بالحقوق الديمقراطية الاساسية : حق تكوين الاحزاب السياسية ، صياغة البرامج السياسية ، التظاهر غير العنيف ، وباختصار حق نقاش وتقرير مصيرهم . بينما الوضع في الاراضي المحتلة ، من طرف اسرائيل ، مخالف لذلك تماما . ليست فحسب الاحزاب السياسية ، بدون استثناء، ممنوعة كليا ، بل كذلك كل التنظيمات : النقابية ، الطلابية ، الثقافية .. الخ . واضافة ، الى ان الفلسطينيين ليس لهم حق التظاهر ، فليس لهم حتى حق اغلاق دكاكينهم الخاصة كعلامة احتجاج ، فهل نتصور طريقة احتجاج اقل سلما من تلك !

انني عندما اذكر هذه الوقائع ، لا اذكرها لادينها بكل قوتي فقط ، بل لاشير : ان هذا هو سبب الارهاب الفلسطيني . وعندما ادين الارهاب الفلسطيني والاسرائيلي ـ وهذا الاخير هو اكثر خطورة ، خاصة اذا وضعنا في حسابنا عدد الضحايا ـ اؤكد ، انه بالنسبة للارهاب الفلسطيني تقع المسؤولية الكبرى على عاتق الحكومة الاسرائيلية . ومن الطبيعي لشعب ما ، عندما يرفض وجوده وترفض حقوقه الاولية على الصعيدين العائلي والانساني ، ولا يجد امكانية خوض كفاح سياسي ، ان يختار شكلا اخر من اشكال النضال » .

الطرد الفردي ونداء للعدالة :

وعن الطرد الفردي الذي يتعرض له المواطنون العرب يقول الكاتب : « تكلمت عن الطرد « الجماهيري » ، الذي توقف عام ٦٨ ، ولكن الطرد الفردي استمر . ان الامور هنا ايضا تسير ببساطة:

يقتحم ممثلو السلطات بيت الضحية ... حيث يحظى نصف ساعة او ساعة على الاكثر لكي يجمع بعض الحاجيات الشخصية ، حتى يضمنوا في هذه المهلة القصيرة عدم تمكنه هو او عائلته من الاتصال بالخارج . تجمع فيما بعد مجموعة من الرجال ، ويقتادون الى نهر الاردن ، وهنا يجبرونهم بالضرب والتهديد باطلاق النار ـ والبعض جرح فعلا ـ على اجتياز النهر الى الاردن . وبشكل عام ، عادة ما يكون هؤلاء من النخبة الفلسطينية ، وليسوا عموما متهمين باي شيء محدد ، وغدا تعلن الحكومة الاسرائيلية : « طردوا لانهم حرضوا السكان » .

ان المثقفين الاسرائيليين ، القضاة ، المحامين ، الكتاب وغيرهم ، الذين يزعقون بصيحات السخط ، حول موضوع هجرة يهود الاتحاد السوفياتي مثلا ، لا يتجرأون على رفع كلمة تنديد واحدة امام هذه الاعمال البربرية التي عن طريقها يقتلع انسان من وطنه ، وبعد اب عن عائلته بدون اي سبب شرعي.

وبالطبع يقولون لهذه العائلة بكل بساطة : « لماذا لا ترحلون انتم ايضا لتجتمعوا في مكان اخر » ؟! في اغلب الاحيان تلقي العائلة بهذه النصيحة « الليبرالية » جانبا وتفضل البقاء ، لكي لا تحرم النجاح لرغبة السلطات الاسرائيلية التي تسعى ابعاد اكبر عدد ممكن من العرب الفلسطينيين » .

ثم يصرح شاهاك في كتابه انه يكن لمثل هذه العائلات احتراما عظيما ، بينما لا يكن للحكومة الاسرائيلية وكل اعوانها الا الاحتقار . ويصر ، كرجل ديمقراطي قد ، على مواصلة النضال داخل اسرائيل وخارجها

لكي يحصل هؤلاء المضطهدون على العدالة التي يتوقون اليها .

الا يسمى هذا ارهابا ؟

وعن الارهاب الصهيوني ، يتحدث البروفيسور شاهاك : « لكي اختصر ، سوف لن اتعرض لارهابية كل المنظمات اليهودية السرية في ظل نظام الانتداب البريطاني ، وساقتصر على بعض مظاهر الارهاب في ظل وجود دولة اسرائيل .

يبدو لي ، انه من الصعب ان توجد رجلا اكثر شهرة في الارهاب من « مئير هارزبون » . في مذكراته وفي العديد من المقابلات التي نشرتها له الصحافة الاسرائيلية ، يتوضح كم كان هذا الانسان مجرما وباي سرور ـ لمجرد السرور المحض ـ كان يقتل . كم كان يسر عندما يقتل عربيا وخاصة ذبحا ، لانه يشعر آنذاك بنفسه « ذكرا » ! ويروي هنا المجرم كيف طلب من قائده السماح له لكي يقتل ـ بخنجره ـ راعيا عربيا اعزلا ، ويصف بابتهاج سادي : كيف ان رفيقه اقشعر ، بينما هو نفسه قفز بسكينه على ظهر المسكين ، وكيف ان الدم كان يسيل .

واذا كنا بحاجة الى امثلة اخرى ، فاننا سنجدها في مذكرات « موشى شاريت » ، الذي يروي كيف ان هارزبون ، مع مجموعة ارهابيين من شاكلته ، اخترق الحدود واختطف ٦ مواطنين عرب وقتل خمسة منهم ذبحا الواحد تلو الاخر ، وترك السادس لكي يتمكن من ان يقص ما جرى . هنا في الوقت الذي يعتبر فيه هذا الرجل ، من طرف اغلبية الاسرائيليين ، بطلا قوميا . وقد جعل كمثال للشبيبة من طرف وزير الدفاع وقائد المنطقة الجنوبية (موشي ديان واريك شارون) ! ولم يحتج على ذلك احد في اسرائيل ، حتى اولئك الاشخاص الذين يتكلمون عن السلام .

ويجب هنا ايضا ، ان نذكر « غزوة بيروت » ، في نيسان ١٩٧٣ ، حيث لم يقل قادة منظمة التحرير الفلسطينية وحسب في حينها ، بل قتلت نساء جريمتهن الوحيدة انهن يسكنن بالقرب من اولئك القادة (هلل طبعا اغنيري لهذه الجريمة) !

ولا ننسى كذلك ، قصف اربد والسلط ومدن اردنية اخرى عام ١٩٦٨ بالنابالم ، والقصف المنتظم في صيف ١٩٧٤ لمخيمات اللاجئين في لبنان وبالاخص القنابل « الموقوتة » المشهورة ، التي تنفجر بعد ساعة او ساعتين بعد القائها ، اي في اللحظة التي تكون فيها العائلات والفرق الطبية تبحث عن الجرحى والضحايا بين الانقاض » . ويضيف شاهاك :

« استطيع ان اواصل سرد قائمة الارهاب الاسرائيلي انا اردت » .

محاور الازمة اللبنانية

عنوان الكتاب : عن التسوية والتغيير وحرب الكتائب .
المؤلف : الطيب عزيز .
منشورات « الثائر العربي » بيروت .

يأتي كتاب الطيب عزيز « عن التسوية والتغيير وحرب الكتائب » ، محاولة للرد على اسئلة تطرحها احداث لبنان ، على صعيد داخلي مرتبط بالبنى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، وعلى صعيد خارجي مرتبط بصراعات كان من نتيجتها تفجير الوضع اللبناني للوصول الى بحث المسألة الفلسطينية على ضوء معادلات جديدة قديمة : « السيادة اللبنانية »، و « التسوية العربية » .

يبدأ الطيب عزيز تشخيص الازمة ، خارجيا ، عبر محور استهدف الساحة اللبنانية « خطا اولا للعمل العربي » ، وهنا المحور لا يدور الا على فلك الوجود الفلسطيني ، وامكانية تنحيته تمهيدا لتسوية شاملة .

لقد كان منطلق جعل الساحة اللبنانية « خطا اولا للعمل العربي » منطلقا مصريا ـ امريكيا ، يحرص الاخير من خلاله على « تصفية المقاومة قبل ولوج مؤتمر جنيف لاعطاء الملك حسين فرصة تمثيل الفلسطينيين » .

يبقى هنالك منطلق اخر يبرزه الطيب عزيز ، وهو المنطلق السوري ، الذي قد يصعب تحديده تحديدا نهائيا ، ولكنه يشير في ملامحه الى تسوية ما . وهنا تدخل علاقة المقاومة بسوريا الى الحيز الذي يمكن ان تنفذ منه هذه التسوية ، أي ان المقاومة عقبة ، والتفجير ثغرة اولية للرفض الفلسطيني .

اذا كان المحور السابق شكلا مباشرا ، عينيا ، لدفع المقاومة الى التسليم بالتسوية ، فثمة شكل اخر ذو وجهين : مباشر وعيني ، تمثله حرب الكتائب ضد المقاومة والحركة الوطنية ، وغير مباشر ، تمثله الرجعية العربية التي هيأت الكتائب بامداداتها ، ووقفت موقف المتفرج من تهديد الانعزاليين للمقاومة واليسار .

وهنا نبلغ المحور الثاني ، مع اختصار كبير للعوامل الثانوية التي بلغت بالازمة مبلغها حاليا ، الا وهو صلب البنية اللبنانية ، ذلك الصلب الذي وقفت فيه الكتائب موقف المدافع عن ايديولوجية الطبقة الحاكمة ، كنقيض لايديولوجية اجتماعية في الطرف المقابل ، اكثر وعيا ، طبقيا ، بلغت مرحلة صدام فعلي ، ولاقت ، في الالتفاف حول حركة المقاومة متنفسها الطبيعي .

هذه خطوط اولية يشتمل عليها كتاب الطيب عزيز ، مع تفاصيل اخرى لا بد من الاطلاع عليها ، حيث توفق الكاتب في سرد احداث الازمة وتحليلها بصورة ذكية .